القاضي أبو الحسن النباهي مؤرخاً*

أعداد

الأستاذ المساعد
د. خالد محمود عبد الله

المدرس المساعد
قيس فاروق صالح

جامعة تكريت / كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة:

الحمد تعالى لله الذي بفضله تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الهدى ونبي الرحمة ، وعلى آله وصحبه ومنْ دعى بدعوته التي بها تعم الرحمة ، ويسود الكون الصلاح إلى يوم الدين . أما بعد :

كثيرة هي البحوث والدراسات التاريخية التي تناولت بالنقد والتحليل نتاج العلماء المسلمين الذين أمدّوا تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بمئاتٍ بل بألوفٍ من الكتب والمجلدات التي عُدت من أهم مصادر دراسة التاريخ الإسلامي ، إذ ميزت الحضارة العربية الإسلامية بالنزعة التاريخية التي تجلت بظهور الكثير من المؤرخين الذين اخذوا على عاتقهم توظيف مهاراتهم في التأليف وثقافتهم بما يتناسب وقدراتهم العلمية الشاملة ، فظهر للوجود ذلك الكم الهائل من أمهات الكتب التي تُعد بمثابة العمود الفقري في دراسة أحداث التاريخ العربي الإسلامي .

ولما كان الحال على ما عليه فليس غريباً أو مدهشاً أن يندفع دارسو التاريخ المعاصرين من أساتذة وطلاب إلى دراسة تلك الشخصيات الفذة دراسة (علمية دقيقة) من منظور تاريخي ، يعيدون من خلالها كتابة التاريخ ، ويستقرئون أحداث الماضي ، ويخوضون في معينه الفياض ، وتراثه الثر ، من خلال البحث في مناهج أولئك العلماء ونسيجها الفكري ، وإبداعاتها العلمية وخصائصها . والعمل على إبراز دورهم وأثرهم في تدوين التاريخ ، وعرضها بطريقة علمية تاريخية قد تفتح آفاقاً جديدة يطل منها الدارسون على هذا المجال الرحب من النتائج والأسباب التي تفتح باباً بعد باب لظهور مثل هذه الدراسات العلمية ، ولا ضير في ذلك ، فالحقل خصب ، والمجال واسع عريض ، خاصة وإن الأمة الإسلامية من أكثر الأمم التي كتبتْ في التاريخ وألفتْ فيه المؤلفات الضخمة العدد والواسعة المحتوى .

والملاحظ على ذلك النتاج التاريخي الهائل ، انه لم يكن حكراً على المؤرخين فحسب بل شمل كافة الاختصاصات ، فمن الطبيعي أن نجد في تاريخ امتنا العريقة (طبيباً مؤرخاً) و (فيلسوفاً مؤرخاً) و (فقيهاً مؤرخاً) ... الخ . وهنا يأتي (القاضي أبو الحسن النباهي الأندلسي ٧١٣_بعد ٧٩٢هـ/١٣١٣_١٣٨٩م) من بين أهم منْ يجب إبراز وإيضاح جهوده كمؤرخاً للتاريخ الإسلامي من خلال كتابه الموسوم (المرقبة العليا فيمنْ يستحق القضاء والفُتيا). ولن نسلط الضوء هنا على حياته وسيرته ، فالرجل غنياً عن التعريف ويكفي أن نقول انه علم من أعلام القضاء العربي الإسلامي في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، ومن طليعة المجتهدين والمثقفين والمفكرين في الأندلس أيام بني الأحمر سلاطين غرناطة (٦٣٥_٨٩٧هـ/١٢٣٨_١٤٩٢م) ، ويقف على تراث هائل من العلم والمعرفة ، فبيته بيت قضاء وعلم ، توارث أجداده ذلك كابراً عن كابر ، وكانوا معروفين في الأندلس الصغرى بـ (بني الحسن المالقيين) ، تولى منصب قاضي القضاة في غرناطة أيام السلطان (الغني بالله) . وكان قد تتلمذ على أيدي علماء أفذاذ من أمثال : ابن الطراوة شيخ الأندلسيين في زمانه ، وابن أخت غانم ، وأبو عبد الله ابن الفخار . فبرع وأبدع حتى فاق شيوخه في صنعته ، فطفق صيته الآفاق فحل في الحضرة العلية في غرناطة (قاضياً ووزيراً وخطيباً) .

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو : هل من الممكن أن يُعد القاضي النباهي مؤرخاً ؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه في بحثنا هذا من خلال استعراض الجوانب التاريخية التي ورد لها ذكرٌ في كتابه (المرقبة العليا) . وبذلك نرجو ان نكون قد وفقنا في إعطاء البحث صورة واضحة عن الموضوع ... والله تعالى ولي التوفيق .

احتوى كتاب (المرقبة العليا) على كم هائل من الأخبار والروايات التاريخية التي تتحدث عن طبيعة النظم الإدارية التي كانت سائدة في الدولة العربية الإسلامية ، وان كانت تلك الروايات مقتضبة ومختصرة إلى ابعد الحدود ، إلا إن فيها دلائل وإشارات واضحة بينت لنا الجانب التاريخي وتأثيره في كتابات النباهي ، ومن ضمنها :

١. النظم والرسوم السلطانية :

وردت في الكتاب إشارات مهمة عن طبيعة النظام الإداري في الأندلس وبعض الدول والبلدان الأخرى ، أوردها المؤلف ضمن نصوص اقتبس معظمها من المصادر والكتب التي اعتنت بإيراد بعض ما له علاقة بالجوانب الإدارية والنظم والرسوم السلطانية وخلافها ، مضيفاً اليها إضافاته الشخصية عمّا كان سائداً في عصره .وقد تناولتْ تلك الأخبار والنصوص الوظائف والتنظيمات الآتية،والتي نعرض لها بالشكل الآتي:

أ. التنظيمات السلطانية (ولاة الأمر) :

تناول النباهي ولاة الأمر في الأندلس من ملوك وأمراء وخلفاء وسلاطين ، عارضاً لأخبارهم من خلال نصوص عدة أوردها ضمناً في معرض حديثه عن منصب القضاء وتوابعه . وقد جاءت تلك النصوص بمعلومات وأخبار وافية نوعاً ما ، تمكنا خلالها من رسم صورة قد تفي بالغرض المطلوب للتعرف على طبيعة النظم السلطانية لولاة الأمر ، والنظام الإداري السائد في الأندلس وبعض الدول والبلدان الأخرى التي ورد الحديث عنها بطريقة عارضة .

فقد عُني النباهي بإيراد حالات الانشقاق التي عانت منها الأندلس في حقب معينة من الحكم العربي الإسلامي لها والمتمثل بالعصور التي مرت بها الأندلس ابتداءاً بفتنة عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م حتى قيام سلطنة غرناطة سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م . وقد وردت تلك الانشقاقات بصيغ وطرق مختلفة وتحت هدف واحد هو السيطرة على الحكم والاستئثار بالسلطة . وقد تعرضت ارض الأندلس وطوال عقودٍ إلى حالات الصراع على السلطة والقيام بالتمردات والانقلابات العسكرية من خلال تأجيج الفتن والاضطرابات الداخلية ، نتيجة لضعف السلطة الحاكمة وإدارتها السيئة لأمور البلاد[1]. مما يؤكد لنا ضعف بعض ولاة الأمر وعدم قدرتهم على الإيفاء بمسؤوليات المنصب الذي يشغلونه .

كما نوه إلى تداعيات هذه التمردات والانقلابات وأثرها على المجتمع الأندلسي بما تخلفهُ من ظاهرات شاذة وسلبية أتت رَحاها خدمةً لمصالح وأغراض طوائف معينة . كتداعيات الانقلاب

الذي قام به المهدي بن عبد الجبار المرواني[٢] ، وتأثيرات فتنة البرابرة عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م بزعامة سليمان بن الحكم (٤٠٣_٤٠٧هـ / ١٠١٢_١٠١٦ م) الملقب بالمستعين[٣] . وأشار أيضاً إلى الإجراءات القانونية التي اتخذها ولاة الأمر لمحاولة السيطرة على الوضع والقضاء على تلك الانشقاقات ، حيث قام الأمير الحكم أيام هيج الربض بقرطبة سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م بفرض حظر التجول صباحاً ومساءاً ، وقتل كل منْ يجرؤ على الخروج في أوقات الحظر وعلى مرأى من العامة ، وتهجير كل منْ شارك في ذلك الهيج[٤] . وان المنصور بن أبي عامر اتخذ رجالاً ليكونوا عيوناً له في الليل والنهار يقومون بعمل استخباراتي بحت ، بحيث ينقلون له كل ما يقع في البلد من صغير وكبير ، حتى وصل الأمر إلى أن ((لا يقع أمرٌ من الأمور حتى يعلم به))[٥] .

وأشاد برعاية بعض ولاة الأمر للعلم والعلماء واهتمامهم بذلك وإيثارهم إياه بما يليق ومكانة العلم لديهم . فقد ذكر أن من أسباب تولية القاضي منذر بن سعيد البلوطي القضاء في زمن الخليفة الناصر لدين الله الخطبة التي ألقاها القاضي المذكور في حفل استقبال السفير البيزنطي الذي أقامه الخليفة سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م[٦]((إذ كان ذلك سبب اتصاله واستعماله))[٧] ، كما اظهر اهتمام ولاة الأمر بالعلم من خلال ما يدونه بعضهم من نصائح وإرشادات قد يجدون فيها ما ينفعهم أيام ولايتهم ، كالخليفة الحكم المستنصر بالله الذي كان يدون بخطه ما يجده مفيداً لنفسه من كلام يلقي فيه مواعظ ونصائح قد تعود عليه بالفائدة[٨].

وكشف لنا الكتاب اهتمام ملك القسطنطينية بمناظرة القاضي الباقلاني الذي وفد عليه سفيراً لبلاده لتعزيز العلاقات السياسية بين الدولتين ، فقد بيّن اهتمام ملك النصارى وبشكل صريح بمحاورة القاضي ومناظرته علمياً في أمورٍ تخص الإسلام والمسلمين[٩].

وتطرق أيضاً إلى أُسر الحكام وحاشيتهم وحجابهم الذين كانوا اغلبهم من الصقالبة . وقد ذكر النباهي بعضاً منهم كبدرون الصقلبي[١٠]، وجعفر الصقلبي[١١]. كما ذكر أسماء المؤدبين والمعلمين الذين أُنيطت إليهم مهمة تعليم ولاة العهد ، كابن الطيب الذي كان مؤدب الخليفة المعتضد[١٢](٢٧٩_٢٨٩هـ/ ٨٩٢_٩٠١م)، وأبو بكر الزبيدي مؤدب الخليفة هشام المؤيد ، الذي كان يعلمه أصول النحو واللغة العربية[١٣]. مما يؤكد لنا اهتمام الخلفاء بتعليم وتأديب ولاة عهودهم من قبل كبار العلماء والشيوخ .

وتعرّض إلى عمليات الاغتيال التي وقعت بحق بعض ولاة الأمر من قبل الحاقدين والمتآمرين على السلطة ، كاغتيال السلطان أبي الحجاج يوسف الأول سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٥م ، مأموماً به في

الركعة الثانية من صلاة عيد الفطر : ((عدا عليه شقي كأنه وحشي ، فضربه بظهره وهو ساجد لربه))[١٤] . مما يؤكد لنا بطبيعة الحال اضطراب الأوضاع الداخلية لسلطنة غرناطة آنذاك .

وأشار أيضاً إلى الحياة الصحية لبعض ولاة الأمر ذاكراً سبب وفاة بعضهم ، كقوله في وفاة الأمير بلقين بن باديس : ((واستمرت إمارة بلقين بمالقة إلى عام ٤٥٦هـ [١٠٦٣م] فتوفي بها من وجع أصابه))[١٥] . وقوله في هلاك ملك النصارى القشتالي الفونسو الحادي عشر بالطاعون : ((كان هلاك ملك النصارى المسمى بالفنش بن هراندة بن شانجة ، وهو بظاهر جبل الفتح حاصراً له ، وذلك عاشر المحرم من عام ٧٥٠هـ [الثامن من نيسان عام ١٣٤٩م]))[١٦] .

وتعرّض للحياة العمرانية لبعض الحكام ممنْ كان لديهم هوسٌ مبالغٌ فيه في بناء القصور والمدن ، كالخليفة الناصرالذي كان كلِفاً بعمارة الأرض وإقامة معالمها وتخليد الآثار((الدالة على قوة المُلك وعز السلطان))[١٧]. وكذلك أشار إلى أماكن استراحتهم وخلوتهم في مواضع مخصصة لهذا الغرض تكون بشكل بستان أو ما يسمى متنزه يُقام على بركةٍ من الماء لتلطيف الجو في فصل الصيف[١٨] .

كما تتبع لنا أعمال بعض ولاة الأمر والمتعلقة بصورة خاصة بمنصب القضاء وتوابعه ، في التفاتةٍ مميزة من جانبه من خلال إيراده معلومات ونصوص تُبين لنا اهتمام الحكام بهذا المنصب الذي يُعد أساس الدولة وعمادها . مضيفاً اليها العلائق الطيبة التي كانت تربط بينهم وبين القضاة .[١٩] .

وألمح النباهي إلى المهادنات والاتفاقيات السياسية التي كانت تعقد بين المسلمين والدول النصرانية المجاورة لهم ، في خطوة منهم لتجميع قواتهم وتوحيد صفوفهم خاصةً بعد خوضهم غمار معارك وغزوات عدة ضد جيوش الكفر والطغيان استنزفت الشيء الكثير من الأرواح والمعدات . وقد أشار النباهي إلى الهدنة التي عاصر أحداثها وهي هدنة عام ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م ، والتي عقدتها سلطنة غرناطة مع الممالك الاسبانية عقب أحداث موقعة طريف . ويتضح لنا من خلال كلام النباهي عن هذه المهادنة الاضطرابات التي كانت تعاني منها سلطنة غرناطة بسبب توالي سلاطين ضعفاء على عرشها لم يكونوا بمستوى المسؤولية لمواجهة خطر الممالك الاسبانية(اراغون وقشتالة). لذلك فان النباهي[٢٠] يعلق على طول مدة الهدنة قائلاً بأسلوب لا يخلو من عبارات النقد:((وقلما يعلم انه جرى بين المِلتين مثلها في طول المدة واستصحاب المسالمة . والله [تعالى] اعلم بالمراد من ذلك كله)) .

وأشار أيضاً إلى مظاهر استقبال الحكام لسفراء الدول المجاورة لهم عند وفودهم عليهم توطيداً للعلاقات السياسية بينهم ، والمبالغة في تلك المظاهر . ولربما يعود ذلك لسببين – كما نعتقد – الأول احتفاءً بهم ، والثاني لإبراز قوة وعظمة الدولة متخذين من مظاهر الأبهة والترف أداةً لتحقيق ذلك. إذ إن ((من طبيعة المُلك الترف الذي يزيد الدولة قوة إلى قوتها))[٢١] . ولربما لهذا بالغ كلاً من ملك القسطنطينية عند وفود القاضي العراقي أبي بكر الباقلاني سفيراً اليه[٢٢]، والخليفة الناصر لدين الله عندما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك الروم صاحب القسطنطينية عليه[٢٣]. حيث بولغ في الزينة والاحتفال بمقام الخليفة الناصر وملك الروم بما يُبرز للمقابل جلالة مقعدهما وسطوة دولتهما .

وتطرق الكتاب إلى شارات الحاكم الخاصة ، فمن حق ولاة الأمر على رعاياهم القيام عند دخول الأمير أو الخليفة أو الملك ، وان كان ذلك مكروهاً . وتقبيل يده أو رأسه[٢٤]. ورغم إن هذه العادات والتقاليد على قول الخليفة عمر بن عبد العزيز ((هو من عمل الأعاجم ، لا من عمل الناس))[٢٥] . إلا إن تركها قد يفضي إلى المقاطعة والمدابرة[٢٦].

والتقط المؤلف بعض الإشارات المهمة عن أسباب سقوط بعض أنظمة الحكم التي قامت في الأندلس خلال حكم العرب المسلمين لها . فعلى سبيل المثال أكد النباهي على أن انقراض وانتهاء دولة بني عامر كان بقيام المهدي بن عبد الجبار المرواني عليهم الذي كان أول ملوك الفتنة عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م[٢٧]. وان سقوط الخلافة فعلياً في الأندلس كان باجتياح القوات البربرية قرطبة بزعامة سليمان المستعين في شوال عام ٤٠٣هـ/ نيسان ١٠١٣م ، ومقتل الخليفة هشام المؤيد[٢٨]. وان زوال مُلك بني مروان في الأندلس نهائياً كان على يد ابن حمود بعد تغلبه على أخر رجل من بني مروان وهو سليمان بن الحكم صاحب البرابرة ، وذلك في سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٧م[٢٩]. وان نهاية ملوك بني عباد في اشبيلية كان على يد المرابطين في عام ٤٨٤هـ/ ١٠١٩م[٣٠].

كما أشار إلى إن قيام مُلك المرابطين في الأندلس كان بزعامة الأمير يوسف بن تاشفين ، وذلك بعد استنجاد ملوك الطوائف به عقب سقوط مدينة طليطلة بيد الإسبان النصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. فكانت هذه الخطوة الأولى للأمير يوسف بن تاشفين في القضاء على ملوك الطوائف وتوحيد الأندلس تحت سيادة المرابطين[٣١] . وأن السلطان أبا عبد الله المدعو بالفقيه (٦٧١_٧٠١هـ/ ١٢٧٣_١٣٠٢م) كان ممهد الدولة النصرية ومقيم رسوم المُلك فيها بعد وفاة والده السلطان الغالب بالله أبي عبد الله[٣٢](٦٣٥_٦٧١هـ/ ١٢٣٧_١٢٧٣م) .

ب . نظام الوزارة :

تعرّض النباهي لمنصب الوزارة وما يلحق به ، من خلال ما أورده من نصوص حملت في جوانب منها صلاحيات هذا المنصب ومميزات متوليه والأعمال التي كانت تُناط بهم . ومن خلال تلك النصوص يمكننا أن نستشف إن منصب الوزارة مرَّ بعدة تغييرات وتجديدات سواءاً في صلاحياته ومسؤولياته أم في مكانة الأشخاص الذين كانوا يتولونه طوال العصور التي مرت بها الأندلس .

ففي عصر الإمارة الذي يُعد العصر الأول لإستحداث منصب الوزير في الأندلس ، فان الوزارة كانت متعددة الوظائف وأفردوا لكل وظيفة إدارية وزيراً ((فجعلوا لحسبان المال وزيراً وللترسيل وزيراً وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً وجُعل لهم بيت يجلسون فيه ... وينفذون أمر السلطان هناك))[٣٣] .

أما في عصر الخلافة فان أهمية الوزير قلّت وضعُفت وطغى عليه منصب الحاجب الذي يتم اختياره من بين الوزراء ولكن صلاحياته تكون أوسع واشمل من صلاحيات الوزير ، إذ إن الحاجب ((افرد للتردد بينهم [الوزراء] وبين الخليفة ... فارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت ...))[٣٤]. مما فرض على الوزير الخضوع للحاجب وتقبيل يديه[٣٥].

وبعد فتنة عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م فان منصب الوزارة أصبح يُجمع للقضاة ، إلا إن رسمه في العقود كان بتقديم لقب الوزارة على القضاء[٣٦].

أما في عصر ملوك الطوائف فان مرتبة الوزير انحطت وأُهملت إلى ابعد الحدود ، لدرجة أن المنصب أصبح يُمنح للطبقة الوسطى من الموظفين والكُتّاب وشيوخ القرى[٣٧]. وذلك لارتفاع منصب الحاجب ومرتبته على سائر المناصب والمراتب ((حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها ...))[٣٨] .

أما في عصر المرابطين فان مرتبة الوزير عادت ليكون لها نصابها الشرعي ومكانتها المرموقة التي تمتعت بها في زمن الإمارة . إذ أصبح الوزير الشخص المقرب من السلطان والذي يستشيره في كل الأمور .

أما في عصر الموحدين فقد كان منصب الوزير من المناصب السياسية المهمة ووصلت أهميته ورفعة مكانته أن تولاه بعضاً من أبناء الخلفاء وأخوتهم . لذا كانوا يُسمَّون بالسادة أو الأسياد[٣٩] .

أما في سلطنة غرناطة فكان للوزير مكانة عالية حيث كان دائماً ما ينوب عن السلطان ، وهو الذي يهيمن على شؤون الدولة المدنية والعسكرية[٤٠].

والملفت للنظر في معظم النصوص التي أوردها النباهي في الكتاب ، حديثه فيها عن المؤامرات وأعمال الحيلة والغدر التي نفذها الوزراء بحق القضاة ابتداءً بعصر الفتنة وحتى سلطنة غرناطة . إذ يتضح لنا إن تلك المؤامرات كانت بتدبير من الوزير مع الحاجب . وهذا يؤكد العلائق المتينة التي كانت تربط بين الطرفين ، والمصالح والأهداف المشتركة التي يسعيان لتحقيقها[٤١].

كما تطرق الكتاب إلى إيمان بعض الوزراء بالتنجيم واهتمامهم بأعماله ، فعندما أراد القاضي الباقلاني التوجه نحو القسطنطينية فان وزير الدولة استوقفه مستفسراً : ((أأخذت الطالع لخروجك)) . ولم يكتفِ برد الباقلاني بل استدعى المنجم ابن الصوفي وعقد بين الطرفين مناظرة لتفنيد أقوال القاضي من أن هذه الأعمال ليس لها مثقال ذرة من الصحة[٤٢].

وعلى ما يبدو من خلال نصوص الكتاب أن مهمة الوزير في الدولة كانت تتركز على إبداء الرأي السديد حول مشاورة أولي الأمر لهم في مسائل وقضايا معينة تتعلق بأمور البلاد ومستجداتها ، تقتضي تقديم النصائح والحلول المناسبة لما يُشاورون فيه بكل أمانة وموضوعية . ويتضح ذلك من خلال النص الذي يذكر فيه النباهي صفات القاضي ابن ذكوان ، قائلاً : ((... ومحله منه [يقصد هنا المنصور بن أبي عامر] فوق محل الوزراء ، يفاوضه في تدبير المُلك وسائر شأنه))[٤٣] . وقوله في القاضي ابن فطيس : ((وشارك الوزراء في الرأي))[٤٤] .

جـ . نظام الحجابة :

الحاجب منصب اداري مشرقي ، مهمته حجب العامة والخاصة عن الخليفة وإدخالهم اليه حسب أعمالهم[٤٥]. أما في الأندلس فهو بمثابة رئيس الوزراء حالياً[٤٦]، الذي يُعد حلقة الوصل بين الحاكم ووزرائه[٤٧]. وقد تطرق النباهي في كتابه هذا إلى ذكر عدد من الحجاب في الأندلس ، مشيراً إلى أعمالهم التي كانوا يقومون بها في مدة توليهم لهذا المنصب . ويتضح لنا من خلال ما ذكره المؤلف أن مهمة الحاجب ابتداءً بعصر الإمارة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م الى عام ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م كانت تقتصر على منْ ((يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمنْ دونهم...))[٤٨] . وكان لموقع الحاجب ومكانته الأثيرة في نفس أميره ، انه كان يرافقه في خلوته ونزهاته واستراحته الشخصية[٤٩]. مما يؤكد لنا المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها الحاجب في عصر الإمارة .

وفي الحقبة المحصورة ما بين ٣٦٦_٣٩٩هـ/ ٩٧٦_١٠٠٨م ازدادت صلاحيات الحاجب ومميزاته ، حيث أصبح المتصرف الفعلي لأمور الدولة وشؤونها . ونظراً لذلك فقد عُرفت هذه الفترة بفترة الحجابة[٥٠]. وكان متوليها المنصور بن أبي عامر الذي ((ملك الأندلس بولاية الحجابة لهشام [المؤيد] وذلك في شعبان سنة ٣٦٦هـ [نيسان ٩٧٧م] ،فاستولى على كثير من الأمصار ، وصار خبره أطيب الأخبار، ولم يزل على حالته من الظهور ، والعز المتصل المشهور ،إلى أن توفي بمدينة سالم سنة ٣٩٢هـ [١٠٠١م] ،وهو منصرف من غزو بلاد الروم))[٥١] .

وعلى ما يبدو فإن منصب الحجابة ظلَّ متمتعاً بصلاحياته ومميزاته بعد انقراض الدولة العامرية ، وبداية عصر الفتنة . فقد استمرت سيطرة الحاجب على مجريات الأحداث في البلاد والتصرف بشؤونها الداخلية وخاصةً فيما يتعلق بضبط السلطة والتحكم بإدارتها[٥٢]. وخير مثال لما ذكرناه ما قام به واضح الصقلبي حاجب الخليفة هشام المؤيد وسيطرته الواضحة على الخليفة المذكور وتفرده نوعاً ما بإدارة شؤون البلاد ، والتصرف بأمورها بما يتوافق ومصالحه الشخصية[٥٣]. أما في زمن الطوائف فنلاحظ اتساع سطوة الحاجب وازدياد سيطرته لدرجةِ انفراده بالسلطة الحاكمة والإقدام على عزل ولي العهد وقتله أو سجنه ، وضبط البلد بنفسه ، والتصرف بشؤونه[٥٤].

وعُني النباهي بتسجيل بعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بحياة بعض الحجاب ولاسيما تلك التي تتعلق بتحديد مصير بعضهم . فقد ذكر أن سبب مقتل الحاجب واضح الصقلبي كان نتيجة لأعمال الحيلة والغدر التي سعى بها ضد بني ذكوان عند الخليفة هشام[٥٥]. وان مقتل الحاجب نجاء كان لاستئثاره بالسلطة ومحاولة إحكامه السيطرة على شؤون البلاد والتفرد بها بعد مقتل الأمير يحيى المعتلي[٥٦].والملفت للنظر بخصوص هذا الموضوع إن اغلب منْ تولى منصب الحجابة بعد سقوط الدولة العامرية كانوا من الصقالبة .مما يؤكد لنا بطبيعة الحال المكانة المميزة التي كانت تحظى بها هذه الفئة في الأندلس،إذ أصبحوا يشكلون بمرور الزمن جزءً لا يتجزأ من المجتمع الأندلسي.

د . نظام السفارة :

السفارة : هي الوظيفة التي تُناط إلى منْ يرى فيه الملك أو الخليفة أو الأمير عِلماً وفهماً وفطنةً ، ومعه زهده وتورعه ليمثله لدى الحكام والملوك والأمراء ، يحمل عنه رسائله اليهم ذهاباً ، ويعود منهم بالرد عليه إياباً[٥٧]. وللمؤلف إشارات بهذا الصدد كشفت لنا بعض الحقائق عن طبيعة هذا المنصب ومكانة متوليه .

ولعله من نافلة القول قبل ذِكر ما تطرق اليه النباهي في كتابه أن ننوه إلى إن السبب الرئيسي في اختيار ولاة الأمر لقضاتهم ليقوموا بهذه المهمة ترجع إلى ما ذكرناه أعلاه من الصفات التي يجب أن تتوفر في صاحب هذا المنصب كالعدالة والزهد والورع والفطنة التي تُعد من الشروط والخصال الواجب توفرها في منْ يتولى القضاء .

ومما أورده النباهي من نصوص للحديث عن السفارة والسفراء ، وجدنا أن معظم متولي هذا المنصب من القضاة[٥٨]. أما المهام التي كلفوا بتنفيذها فقد تباينت في اتجاهات ومحاور عدة ، نذكر منها سفارة القاضي العراقي الباقلاني للقسطنطينية التي كانت لغرض توطيد العلاقات السياسية بين الجانبين ، ولإبراز رفعة الإسلام والمسلمين ، والغضّ من النصرانية[٥٩].

أما سفارة القاضي أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد إلى المغرب فكانت استنجاداً بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين لغرض مساعدة أهل الأندلس حكومةً وشعباً في التصدي لهجمات الممالك الاسبانية الشمالية على مدن الأندلس وثغورها . وكان إيفاد هذه السفارة على ضوء الكائنة الشنعاء التي فتكت بجيوش المسلمين في الموضع المعروف بالرَّنيسول في عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م[٦٠].

وقد صور لنا وان كان مقلاً النهاية المؤلمة لبعض السفراء والرسل كنتيجة حقيقية لتخليهم عن المهام التي كلفوا بها ، وخذلانهم وخيانتهم لأولي أمرهم . وقد أشار النباهي بهذا الخصوص إلى القاضي عيسى بن سهل الذي وجهه أميره نحو سبتة للقاء الأمير يوسف بن تاشفين في معرض الهناء له ، وتلقيه بالترحاب وحُسن المقام . وذلك عندما أراد اجتياز البحر برسم الجهاد في الأندلس . إلا إن القاضي المذكور عندما رأى اختلال أنفس أهل بلدته ، والخلافات التي دبت في معسكر أميره فقد عمد إلى التقرب من الأمير يوسف واعلمه إن كل منْ في الأندلس يؤيدون طاعته ، وينزعون طاعة أميرهم . وإنما فعل القاضي ذلك ليكون في أعلى مرتبة عند الأمير المرابطي بعد تغلبه وتملكه على البلاد .

فلما تملك الأمير المذكور عزٌ ونعمة أهملهم وقطع صلتهم قائلاً :((ما نصحوا مولاهم وربَّ الإحسان عليهم فكيف يكون حالهم مع غيره))[٦١] . وكان نتيجة ما فعله ابن سهل أن أُخر عن القضاء ملتزماً داره حتى وفاته[٦٢].

هـ . الوظائف الإدارية الأخرى :

ورد في الكتاب ذكر لمجموعة كبيرة من الوظائف الإدارية التي جاء الحديث عنها ضمن السياق العام للرواية التي عرض لها النباهي . كوظيفة صاحب الشرطة الوسطى والصغرى[٦٣]،

وصاحب المظالم[٦٤]، وصاحب المدينة[٦٥]. ووردت جميعها بنص أحادي مقتضب دون أن يفسر معناها أو يوضح مهماتها وصلاحياتها . كما أشار إلى وظيفة صاحب الرد ووضحها قائلاً : ((ويسمى صاحب ردّ بما رُدَّ عليه من الأحكام))[٦٦] . وهناك وظيفة صاحب السوق ، وذكر قائلاً بخصوصها : ((وصاحب السوق كان يُعرف بصاحب الحسبة ، لان أكثر نظره إنما كان يجري في الأسواق من غش وخديعة وتفقد مكيال وميزان وشبه ذلك))[٦٧] .

وهناك إشارة لوظيفة الأمناء والتي يختص أصحابها بحفظ الودائع والأمانات وأول منْ أوجدها القاضي سحنون بن سعيد ، وذلك لأنها كانت توضع في بيوت القضاة[٦٨].

كما أورد النباهي وظيفة الكاتب مشيراً إلى الأعمال الإدارية التي كانوا يتخصصون بها ، فهناك ذكر لكاتب القاضي الذي كان مختصاً بكتابة كل ما يذكر في المحاكمة وتدوينه في السجلات الرسمية للقضاء[٦٩]. وهناك وظيفة الكتابة السلطانية[٧٠]، ورئيس الكُتّاب[٧١]. ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الكتّاب كانوا يمثلون صفوة المثقفين في مجتمعاتهم[٧٢].

وأشار أيضاً إلى وظيفة حارس السوق[٧٣]، والوكيل (المحامي) الذي يخاصم نيابة عن الأشخاص الذين يوكلونه في قضايا معينة يختصمون بها في مجلس القضاء[٧٤]. ورئيس الحرس[٧٥]، والحاسب[٧٦]، والشورى[٧٧]، والجباية[٧٨]، ونائب القاضي الذي ينوب عن القاضي في أقضيته بمجلس الحكم الشرعي أيام أسفاره في معرض السفارة والرسالة إلى الملوك والأمراء[٧٩].

وقد أشار النباهي إلى الطرق المتبعة إدارياً لتنصيب الموظفين رسمياً في مناصبهم ، إذ أن تولي القاضي لمنصبه لا يتم إلا بقراءة مرسوم ولايته في القبة الكبرى من المسجد الجامع على محضر من عامة وخاصة رجال البلدة التي عُين فيها قاضياً[٨٠].

٢. المعطيات الدينية :

ضم كتاب (المرقبة العليا) بعضاً من الإشارات والمعلومات التي عرضت لجوانب الحياة الدينية . وقد بينت لنا تلك الإشارات طبيعة الحياة الدينية التي كانت تطغى على المجتمع الأندلسي سواءً في عصر المؤلف أم في العصور السابقة له . وان كانت تلك المعلومات مختصرة في أكثر الأحيان إلا إن لها وبدون شك ميزة عالية انعكس أثرها ايجابياً على الكتاب . فالنباهي لم يدخر جهداً في إثراء كتابه بتلك المعلومات من خلال تطرقه للمسائل والأحكام والنوازل التي ناقشها وعرض لها ، مفرداً إياها مساحة واسعة .

وتبرز قيمة المعطيات الدينية في الكتاب من خلال استشهاده بآيات الذكر الحكيم[٨١]، وسيرة الرسول المصطفى[٨٢]ﷺ ، وأصحابه الكرام[٨٣]ﷺ . مستعيناً بها في توضيح شروحاته وتفسيراته مما ألقى بين أيدينا نصوصاً وأخباراً قلما نجدها في مؤلفَات من هذا النوع .

ومن الأمور الأخرى التي أولاها عنايته وبالغ في الاهتمام بها أخبار الجهاد في سبيل الله تعالى، في معرض حديثه عن أخبار القضاة الذين ترجم لهم . مستعرضاً وبشكل موجز وقائع بعض المعارك التي خاضتها الجيوش العربية الإسلامية ضد الممالك الاسبانية الشمالية ، مثل غزوة جربيرة[٨٤]، وموقعة انيشة[٨٥]، وموقعة طريف[٨٦]. واختياره للعبارات المناسبة في التعبير عما حققه مسلمو الأندلس من انتصارات على أعدائهم التقليدين نحو قوله في صفة القاضي الفرج بن كنانة: ((...وقدّمه عبد الكريم إلى جمع النصرانية [في جليقية] فعضَّهم،وقتل فيهم قتلاً ذريعاً))[٨٧].وقوله في غزوة جربيرة: ((...ومع ما ألقى الله تعالى في قلوب الروم من الرعب...فانهزموا وتفرقوا،وتبعهم المسلمون...واستولوا على محلتهم))[٨٨].وتسميته لموقعة طريف بـ: ((يوم المناجزة الكبرى))[٨٩] و((الكائنة الشنعاء))[٩٠] .

كما أشار وفي مواضع عدة إلى المذاهب الأربعة[٩١]وطبيعة اجتهاداتهم وأحكامهم وإبراز الفرق بينها في بعض المسائل الفقهية التي اختلفوا فيها . عارضاً لها بشكل مفصل ودقيق[٩٢].

ومن الأمور الدينية الأخرى التي كانت منتشرة في الأندلس مظاهر الزهد والتصوف التي طغت في أصقاع الأندلس قاطبة ، وان اقتصرت على مجموعات محددة ومعينة من الناس إلا انها كان لها أثراً في ظهور طوائف تميزت عن فئات المجتمع الأندلسي بدعواتها وعبادتها وآرائها وطريقة عيشها من مأكل وملبس . كان لها بطبيعة الحال دوراً في تقويم ونبذ الأفكار والمظاهر الدنيوية التي تأثر بها المجتمع الأندلسي آنذاك[٩٣].

وابرز النباهي محاولات السلطة ورجال الحكومة المتنفذين والشيوخ والقضاة والعلماء في محاربة المذاهب والأفكار الفلسفية وتوابعها ، وعدّوا انتشارها خطراً على وحدة الأمة الروحية في بلاد الأندلس[٩٤].

وأوضح أيضاً بعض الخصائص الدينية لدى الروم في معرض حديثه عن سفارة الباقلاني إلى القسطنطينية . إذ تلمسنا من خلال ذلك النص إجلالهم للبطرك و تعظيم شخصيته باعتباره ((قيم الديانة ، وولي النِّحلْة))[٩٥] الذي يكون – وكما يعتقدون- ((خليفة المسيح عليه السلام فيهم ، يبعث نوابه وخلفائه إلى ما بعُدَ عنه من أمم النصرانية))[٩٦] .

ولربما لهذا السبب تكون مكانة ومقام البطرك لديهم فوق مكانة ومقام الملك نفسه : ((... وجاء البطرك ... آخر الناس وحوله أتباعه يتلون الأناجيل ويبخرون بالعود الرطب ، في زيٍ حسن . فلما توسط المجلس ، قام الملك ورجاله تعظيماً له ، فقضوا حقه ومسحوا أعطافه ، وأجلسه الملك إلى جنبه ...))[٩٧] .

٣. المعطيات الاجتماعية :

عرض أبو الحسن النباهي لجوانب من الحياة الاجتماعية والحياتية للعصور والحُقب التي وردت ضمن السياق العام للمواضيع التي يؤرخ لها . ورغم كثرة المعلومات التي أوردها في هذا الجانب مقارنة بالجوانب الأخرى إلا انها لم تكن كافية لتكوين صورة واضحة المعالم أو التوصل إلى نتائج معينة عن طبيعة المجتمع الأندلسي في العصور السابقة وعصر المؤلف على حد سواء .

ورغم ذلك فقد حوى الكتاب حوادث ومشاهد للحياة الاجتماعية كشف فيها عن أنماط العيش ، والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع آنذاك .

ففي الكتاب إشارات نادرة عن طبيعة مجلس الملك الروماني الذي وفد اليه الباقلاني سفيراً ، إذ يتطرق إلى وصفه بدقة متناهية مما أفسح لنا مجالاً للتعرف على الإجراءات التي يتخذها الرومان في استقبال السفراء وكيفية التعامل معهم[٩٨].

ومما ذكره أيضاً الاحتفال بالمناسبات الرسمية والدينية ، كاحتفال الخليفة الناصر لدين الله في الجلوس لدخول رسول الملك الروماني بقصر قرطبة وهو ((الاحتفال الذي شهد ذكره في الناس))[٩٩] . وهناك الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي كان مظهراً شعبياً بارزاً ، حيث تفرق فيه الأطعمة والصدقات على الضعفاء من الناس وفقرائهم[١٠٠].

ومن المظاهر الاجتماعية البارزة التي كانت سائدة بشكل ملحوظ في الأوساط الرسمية والشعبية هي العلاقات العامة بين العلماء ، حيث يتحدث النباهي عن طبيعة تلك العلاقات وما تمخض عنها من خطابات ومناظرات ومحاورات علمية وضروب المفاكهات والطرائف[١٠١]. نذكر منها على سبيل المثال : ما داعب به القاضي سليمان بن الأسود صاحبه إبراهيم بن يزيد[١٠٢]. وما صدر عن القاضي أبي محمد عبد الله الوحيدي في مراجعته للخطيب ابن أبي العيش في خصومة احد اللائذين به[١٠٣]. بالإضافة إلى المراجعات والمخاطبات بين الطلبة[١٠٤].

وأورد الكثير من الأخبار والنصوص التي تحدثت عن أعمال الحيلة والغدر التي كانت وكما يبدو منتشرة بصورة خاصة بين كبار رجال الدولة وموظفيها . واغلب تلك الأعمال كانت تدبر

لمحاولة الاستئثار بالسلطة والانفراد بالمناصب الرئاسية . وقد ظهر النباهي في هذا الجانب جامعاً مكثراً ، حيث ذكر الكثير من المؤامرات التي دُبرت بحق أشخاص معينين لخدمة أغراض وأهداف محددة تخدم مصالح المتآمرين[١٠٥]. وبلا شك إن انتشار هذه الأعمال كان نتيجة طبيعية للاضطرابات والفتن الداخلية التي عانت منها الأندلس منذ فتحها وحتى سقوطها بيد الإسبان النصارى . نذكر منها على سبيل المثال : المؤامرة التي دبرها الوزير عبد الله بن سليمان أيام الخليفة المعتضد لبني حماد بن زيد الازدي، إذ كان سيء الرهن فيهم لِما أراد الإيقاع بهم بإتّباعه أعمال الحيلة والغدر لتحقيق غاياته ومآربه[١٠٦]. وما حاوله العباس بن عبد الملك المرواني من القدح بسريرة القاضي المصعب بن عمران عند الأمير الحكم بن هشام بخصوص خصومة ضيعة حكم فيها القاضي المذكور لغريم العباس ((... فحرف [الرسول] كلام القاضي ... فاستشاط [الحكم] غيضاً واطرق ملياً ، والعباس يُهيّج غضبه ، وهمَّ بمصعب ، إلى أن تداركته عصمة من الله [سبحانه وتعالى] ثبتتْ بصيرته ، فسُرِّى عنه))[١٠٧] .

ومن العادات الاجتماعية التي نوه اليها حضور الجنائز والإقبال عليها من قبل الناس عامة . مصوراً لنا مظاهر الحزن والأسى التي كانت تطغى عليهم عند تشييع فاقديهم ، والتهافت على الصلاة عليه[١٠٨].

ومن المظاهر الاجتماعية والدينية على حد سواء صلاة الاستسقاء التي كانت متبعة في الأوساط الشعبية . وكانت هذه الصلاة تعقد من قبل القضاة ويحضرها أحياناً الحاكم بنفسه ، ويقبل على حضورها عامة الناس حيث كانوا يتجمهرون عند انقطاع الغيث فيبتهلون لله تعالى ليغيثهم[١٠٩].

واختلف الأشخاص الذين كانوا يأمُون هذه الصلاة بتصرفاتهم وأحوالهم . فقيل إن القاضي منذر بن سعيد البلوطي كان إذا برز للاستسقاء بالناس ((صام ... أياماً تنّفُلاً وإنابةً ورهبةً))[١١٠] . وان محمد بن يبقى كان ((لبوسه ثيابٌ بيض وعلى رأسه أقْرُف وَشْي اغبر على شكل أهل المصايب بالأندلس قديماً))[١١١] .

كما تحدث النباهي عن الأوبئة والأمراض التي كانت تجتاح المجتمعات وتعيثُ فيها مسببةً خسائر فادحة في المال والأرواح . وقد ذكر المؤلف وباء الطاعون العام الذي اجتاح الأندلس سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م . وجاء بتفصيلات غاية في الدقة والوصف كشاهد عيان للأحداث ، قائلاً وهو ينقل لنا صوراً مأساوية عن ذلك : ((... فخرجت جنازته ... وصحبه ركبٌ من الأموات يزيد

على الألف))[١١٢] . واهتم بتفصيل معناه وتوضيحه بعناية فائقة[١١٣]مما يؤكد لنا بطبيعة الحال مدى تقدم الطب في الأندلس ومعرفتهم بمبادئه وأساسياته ، وهذا راجع نتيجة للتطور الحضاري الأندلسي آنذاك .

وتطرق إلى ذكر بعض الأشخاص الذين قُضوا بسبب إصابتهم بالأمراض ولكنه لم يعطِ وصفاً دقيقاً لذلك . مكتفياً بالتنويه له فحسب ، ولربما يكون سبب ذلك اعتماده على الإيجاز والاختصار في بعض المواضيع ، أو لأنه ينقل من مصادر معينة لم تأتِ على ذكرها بتفصيل دقيق . ونظراً لبعد المدة التي وجد فيها بعض المترجمين لهم فكان من الصعب عليه – كما نعتقد – تحديد تلك الأمراض ووصفها . وعلى أية حال فان إيراد النباهي لتلك المعلومات كما هي من المصادر التي نقل عنها بدون أي تعقيب وان كان فيه من الضعف في المنهج ، إلا انها نقطةً تسجل لصالح أمانته العلمية في ذكر الروايات التاريخية .

وهنا يمكننا أن نذكر بعضاً مما أورده النباهي عن ذلك ، فمثلاً ذكر أن سبب وفاة أبو الوليد محمد بن رشد كان : على اثر العِلة التي أضجعته إلى أن أفضت به إلى قضاء نحبه[١١٤]. وان يحيى بن عبد الرحمن الأشعري بقي في القضاء ((إلى أن أصابته الزّمانة التي أقعدته عن ذلك))[١١٥] .

ومن المظاهر الاجتماعية الأخرى التي كانت تسود المجتمع الأندلسي وتؤثر في أمنه واستقراره عمليات أصحاب البدع والأهواء الذين كانوا يشكلون خطراً رئيساً في ترابط الروح القومية بين أبناء المجتمع العربي الإسلامي ، خاصةً وانهم تغلغلوا بأفكارهم وأهوائهم في عصب الدولة الإسلامية ، حيث وقفوا موقف المعادي لها ودعوا إلى الخلاص من كل ما يدعم قوتها وتماسكها ، والتشبث بكل ما يزعزع وحدتها وترابطها[١١٦]. ولربما يكون من أسباب نشوئها وظهورها في الأندلس سوء الأحوال السياسية الداخلية التي عجت بالفتن والاضطرابات والمنازعات على السلطة ، أو قد تكون هذه الجماعات مدفوعة من قبل حركات خارجية معادية هدفها زعزعة أمن واستقرار الدولة ليسهل بالتالي الانقضاض عليها وإسقاطها .

كما كشف لنا الكتاب التمردات وعمليات الهرج التي كانت تقوم بها عامة الناس كرد فعلي إزاء تصرفات معينة من قبل أصحاب النفوذ والمناصب السياسية . مما تسبب في هيجان الرعية ليتمخض في نهاية الأمر إلى التحريض المباشر لهم لإشعال فتيل الفتنة . وفي الكتاب نماذج قليلة عن هذه الفتن والتمردات رغم أهميتها وأثرها ، وان وجدت فهي موجزة ومختصرة . مثل : هيج الربض بقرطبة عام ٢٠٢هـ/ ٨١٨م[١١٧]. وثورة العامة ضد القاضي ابن زرب عند استبطائهم

للاستسقاء ((ولهجت العامة بذم القاضي ... وأطلقوا ألسنتهم بالطعن في دينه ... فاجتمعوا اليه ... يعطعطون ، وينكتونه بمعابه ... وهمّوا أن يبسطوا اليه أيديهم ويمتهنوه ...))[١١٨] .

وكان من تداعيات هذه التمردات اضطراب الأحوال الداخلية وتخلخلها وانتشار أعمال القتل والغصب والنهب[١١٩].

وفي الكتاب إشارة بسيطة لأعمال اللصوص الذين كانوا جماعات عابثة أفرزتها الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة التي كان يعاني منها البلد الذي يظهرون فيه . إذ ذكر أن مجموعة من الأعراب في بغداد أيام خلافة الواثق (٢٢٧_٢٣٤هـ/ ٨٤١_٨٤٨ م) : ((كسروا السجن وهربوا فقطعوا الطريق وارتكبوا العظائم وانتهكوا المحارم))[١٢٠] .

وأشار أيضاً إلى بعض الأمراض الاجتماعية التي لم يبرئ منها المجتمع الأندلسي بتاتاً وبقيت شائعة ومتفشية فيه في الأوساط الرسمية والشعبية على حد سواء ، وهي حالات السُكر وشرب الخمر[١٢١]. وظهر النباهي حازماً صارماً في نبذ هذه المنكرات والتحذير منها . ويبرز ذلك واضحاً من خلال انتقاده للقاضي محمد بن عبد الله بن عيسى في عدم إقامة الحد على فتىً لقيه يتمايد سُكراً ، قائلاً : ((... فلا وجه لحكم في إسقاط حدٍ لغير عذر ولا تأويل))[١٢٢] .

ومن سلبيات المجتمع ومخلفات الأوضاع الداخلية السيئة للبلد انتشار التزوير في الوثائق الحكومية وخاصة محاضر القضاء والوثائق الرسمية . وأورد النباهي ذلك بشيء من التفصيل وان كان مقلاً ، إذ حدد العقوبات التي كانت تنزل بالمزورين في حالة وقوعهم بيد السلطات ((... فلما صحَّ تدليسه أُمِر بقطعه ، فقطعت يده))[١٢٣] . وفي الكتاب إشارة إلى حالات الإيمان بالمنجمين ومعرفة الطالع والاعتقاد به وسريانها في الأوساط الرسمية والشعبية[١٢٤].

وتضمن الكتاب أسماء بعض النساء متناولاً ذلك في معرض حديثه عن المسائل التي يناقشها والقضاة الذين يترجم لهم . عارضاً لتصرفاتهن وخدمتهن لأزواجهن بقوله : ((فالمرأة تتلقى زوجها فتبالغ في برّه وتنزع ثيابه ونعليه متى يجلس))[١٢٥] . أما أول منْ جاء على ذكرها من النساء في الكتاب فهي عائشة بنت أبي بكر ﷺ مستشهداً بحديثها عن مسألة القيام وشرعيتها[١٢٦]. وخديجة ابنة القاضي سحنون ووصفها قائلاً :((وكانت من خيار النساء))[١٢٧] . وهناك عجب حظية الأمير الحكم التي كانت أثيرةً لديه ومدللة عنده ، حتى انها حاولت التدخل في قضية ابن أخيها الذي حبسه الأمير عبد الرحمن ((... وأبرمته عجب عمته في إطلاقه وكانت مدلّة عليه

لمكانها من أبيه))[١٢٨] . وهناك إشارة لزينب ابنة الفقيه المشاور أبا علي بن الحسن والتي تزوجها عثمان بن منظور[١٢٩].

أما الملابس فقد ورد ذكرها في بعض النصوص وهي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية للأمم والشعوب في أي عصر من العصور التاريخية . وقد أوضح النباهي بعض الملامح البسيطة لألبسة فئات محدودة من الناس خلال إشاراته القليلة إلى ذلك . وقد تلمسنا من خلال النصوص التي وردت في الكتاب والتي تتحدث عن الملابس إن القلنسوة[١٣٠] نوع من أنواع الملابس السائدة في الأندلس والعراق[١٣١]. وان لباس بعض الزهاد والمتصوفة في الأندلس كان الصوف الخيش[١٣٢]. وهناك الرداء الذي يكون بمثابة العباءة[١٣٣] التي كانت سائدة في الأوساط العراقية أيام العباسيين[١٣٤]، وهناك المئزر[١٣٥].

وأشار إلى أن لباس أهل المصايب في الأندلس قديماً كان ثياباً بيض وتوضع على رؤوسهم أقرُفُ وَشْيٍ اغبر[١٣٦].

ونبه أيضاً إلى مظاهر الترف والبذخ التي كانت مستشرية في أرجاء الأندلس قاطبة وعلى كافة المستويات سواء أكان ذلك في مجالس الملوك والخلفاء والأمراء ورجال الدولة[١٣٧]، أم في طريقة بناء القصور والدور والمنازل[١٣٨]، أم في الضيعات والبساتين[١٣٩]، أم في المحافل والمناسبات[١٤٠]، أم في الملابس[١٤١].

بقي أمرٌ آخر نشير اليه وهو أن كل ما ذكرناه سابقاً في هذا الجانب ، والجانب الديني وما سنذكره في الجوانب الأخرى اللاحقة إن شاء الله تعالى قد ورد بطبيعة الحال مرتبطاً ضمن السياق العام لشروحات وتراجم الكتاب . إلا أن تلك المعلومات التي تمكنا من استخلاصها وتوظيفها ايجابياً في هذا الفصل كان ارتباطها بالتراجم أوثق وابرز من الشروحات التي عرض لها المؤلف مطولاً .

٤. المعطيات الجغرافية :

ضم كتاب (المرقبة العليا) بين صفحاته وثناياه معلومات جغرافيّة قيمة . جاءت مرتبطة بالعرض العام لمواضيع الكتاب . وقد عكست لنا تلك النصوص سعة اطلاع المؤلف في هذا المجال ومعرفته به ، إذ برز جلياً ومن خلال مطالعة المعلومات الجغرافيّة التي أوردها انه لم يكن مجرد ناقلاً لها فحسب ، بل إن خبرته في هذا الميدان كانت على درجة عالية من الدقة والبراعة . فجاءت

كتاباته في هذا المضمار – وان كانت قليلة نوعاً ما – على مستوى متميز بالوضوح والإبداع . تمكن من صياغتها وبلورتها بطريقة مزج فيها بين التاريخ والجغرافية .

وقد تناولت المعطيات الجغرافيّة في الكتاب آفاقاً ومستوياتٍ متنوعةً عرض من خلالها المؤلف لمعلوماته وأخباره بطريقة سلسة ومقتضبة . فمثلاً اهتم كثيراً بنسب الأشخاص إلى الأماكن والمدن مُحيلاً أنسابهم وأصولهم إلى المدن التي طغت أسمائها على أسماء أولئك الأشخاص ، فهو عندما يذكر محمد بن احمد المقري يعقب بقوله : ((... منسوب إلى مَقَّرة موضع من عملة اطرابلس))[١٤٢] . وان بني سيد بونة ((أصلهم على ما تقرر من بونة التي بافريقية))[١٤٣] . وان ابن عبد السلام المنستيري ((منسوب لقرية بظاهرها))[١٤٤] . وان ابن الحاج البلفيقي منسوب إلى ((بلفيق حصن من عمل مدينة المرية))[١٤٥] . وان أبا القاسم بن سلمون كان ((بياسي الأصل غرناطي المولد والنشأة))[١٤٦] . وان عثمان بن موسى ((منسوب لبطن من بطون السودان))[١٤٧] .

وفي جانب آخر نجده مهتماً بإرجاع وجود ونشوء بعض الأماكن والأحياء إلى الأشخاص أو العوائل . فقد ذكر أن التربة التي احتمى بها ابن زرب ((منسوبة إلى السيدة مرجان))[١٤٨] . وان المسجد الموجود في داخل سور مالقة منسوب إلى عبد الله الوحيدي إذ ((دُفن فيه))[١٤٩] . وان قلعة يحصب في كورة البيرة منسوبة إلى ((بني سعيد العنسي))[١٥٠] . وان الربض المعروف بالبيازين والموجود في غرناطة يعود بنائه ونشأته إلى بني سيد بونة الخزاعيين[١٥١].

كما أولى عنايته واهتمامه ببعض البلدان حيث صبَّ جهوده ومعارفه في التعريف ببعض المواقع الجغرافيّة والمدن من خلال تحديده الدقيق لها . نحو قوله عن مالقة:((إحدى مدائن الكورة [يقصد كورة رية] وحدّ عمالتها في القديم من جهة الشرق ألحِّمة ... ومن ناحية الغرب حصن الورد ... ومن جهة الجوف وادي شنيل...ثم الأرض المعروفة بالخنوس الى قرية جيان ... الى حوز مورور))[١٥٢] . وان وادي شنيل يقع حيث ((حصن بني بشير والرنيسول))[١٥٣] .وقوله أيضا في جيان:((من وادي عبد الله من عملها))[١٥٤] . وقوله عن مقَّرة:((موضع من عملة اطرابلس))[١٥٥] . وان الدَّجْن: ((ببلاد الروم شرق الأندلس))[١٥٦] . وان شَلَّة :((خارج رباط الفتح))[١٥٧]. وقوله في حصن شلب : ((من كورة باجة غربي صقعها))[١٥٨] . وقوله في الأندلس : ((... هذه الجزيرة المنعطفة من البحر الزاخر))[١٥٩] . وقوله في بلفيق انه : ((حصن من عمل مدينة المرية))[١٦٠] . وقوله عن غراب : ((بلدة في ارض واسط))[١٦١] .

وأعطى وصفاً جغرافياً لمواقع المدن ، نحو قوله في صيف قرطبة : ((شديد الحر والوهج))[١٦٢]. وقوله عن الحمَّة : ((حيث الماء السخن العجيب الغريب))[١٦٣] . واعتنى بذكر المسافة ما بين مدينة وأخرى من حيث القرب أو البعد . مثل قوله عن حصن الورد :((... القريب من مربلة))[١٦٤] . وقوله عن قرية جيان : ((القريبة من استبَّة الى حوز مورور))[١٦٥] . وقوله عن مالقة : ((... وحد عمالتها ... من جهة الشرق الحمَّة))[١٦٦] .

وفي بعض الأحيان نجده يحدد المسافة بوحدات القياس المعروفة آنذاك مثل (الميل)[١٦٧] ، كقوله:((ميل أو نحوه من ماردة))[١٦٨] ، و:((تبعهم المسلمون نحو عشرة أميال...))[١٦٩] . أو تحديدها(بالمرحلة)[١٧٠] ، كقوله: ((...على مقربة من فاس بمرحلة))[١٧١] . بينما حدد المسافة بين انيشة وبلنسية بـ (الفرسخ)[١٧٢] ، قائلاً: ((...على ثلاثة فراسخ منها))[١٧٣] .

كما اهتم بدراسة بعض المدن وخطـطها ومعالمها وان كانت إشارات طفيفة لا تفي بالغرض المطلوب ، إلا انه ذكر مؤسسها ، وترتيبها ، ودقة بنائها . نحو قوله : ((وكان الخليفة الناصر لدين الله كلفاً بعمارة الأرض ... ابتنى مدينة الزهراء البناء الذي شاع ذكره [إذ] استفرغ وسعه في تنميقها وإتقان قصورها وزخرفة مصانعها ...))[١٧٤] . أما سقف القبيبة فشبه بنائه بـ ((الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء [كان قد اتخذ فيها] قراميد مغشاة ذهباً وفضة ... وقرمد سقفها بها ، تُشتت الأبصار بأشعة أنوارها))[١٧٥] . وقوله في تربة السيدة مرجان : ((وكانت حصينة الأبواب منيعة الأسوار))[١٧٦].

وأشار الى مناطق استقرار بعض الأشخاص محدداً إياها بدقة مثل قوله في حمدين بن حمدين:((وتعاورته المحن فخرج الى العدوة الغربية...وأقام هنالك وقتاً ثم رحل الى الأندلس فاستقر منها بمالقة))[١٧٧] . وقوله أيضاً : ((وعند الفتنة الاشقيلولية انتقل منْ بقي من بني حمدين من مالقة فاستقروا بمدينة سلا من العدوة الغربية...وأعقابهم بها حتى الآن...))[١٧٨] . وقوله في بني سيد بونة:((...وانتقل جده الى الأندلس فاستوطن منها وادي أش من عمل دانية...فخرج قومه من مدينة أش الى غرناطة...))[١٧٩] .

وعمد الى تفسير وتوضيح بعض أسماء المواقع الجغرافيّة والمدن في محاولة منه لكشف غموض معناها ، وإزالة التصحيف عنها . كقوله مثلاً في مالقة:((أما الاسم المنطلق على جميع الكورة فرية وأظنها اسماً عجمياً . والري عندهم المُلك ونحوه...))[١٨٠] . وقوله في مقرة:((بفتح الميم))[١٨١] .

وفي الكتاب إشارة الى أماكن المعارك والغزوات والتمردات التي شهدتها ارض الأندلس طوال مدة الحكم العربي الإسلامي لها . وقد أشار اليها النباهي مذكراً ومنبهاً[١٨٢].

وهناك ذكر لبعض مقابر المدن الأندلسية والمغربية أوردها بشيءٍ من الأهمية وان كان نادراً . إلا انه حدد مواقعها بدقة وإمعان ، وسمى بعض من دُفن فيها[١٨٣].

٥. المعطيات الاقتصادية :

وجدنا المعطيات الاقتصادية في الكتاب كبقية المعطيات الأخرى التي وردت مقتضبة ومختصرة الى ابعد الحدود . ورغم قلة الإشارات التي تطرقت الى الحديث عن الأوضاع الاقتصادية ، إلا انها حملت في طياتها معلومات تمكنا من توظيفها بما يتلائم لرسم صورة بسيطة عن طبيعة الحياة الاقتصادية في المجتمع العربي الإسلامي ، وغيره من المجتمعات الأخرى التي ورد الحديث عنها مقتضباً .

وبما أن الأحوال الاقتصادية ترتبط ((بالأحوال السياسية والاجتماعية والإدارية والطبيعية في كثير من الأحيان...))[١٨٤] فان عكس طبيعة الحياة الاقتصادية في معظم المدن والمجتمعات بجوانبها المتباينة يكاد يكون سهلاً من خلال دراسة ملامح الأحوال المذكورة أعلاه . ووفقاً لما أورده النباهي من نصوص في هذا الجانب فإننا نلاحظ حرصه على تحري ثروات وأملاك بعض الرجال وما خلفوه من أموال وضيعات وأعمال[١٨٥]. كما عمد الى المقارنة بين أملاك بعض الأشخاص والعوائل في الأندلس والمغرب والمشرق[١٨٦].

وكشف لنا الكتاب حالة الرخاء والاستقرار الاقتصادي وانتعاش الحياة المعيشية اليومية من خلال الانجازات العمرانية والخدمية ، والزيادة في الرواتب ، وتوزيع الأرزاق والأُعطيات على بعض الناس بصورة متواصلة ، وبمبالغ كبيرة . كالذي فعله المنصور بن أبي عامر عندما وصل ابن القاضي محمد بن يبقى بن زرب وعمره ثلاثة أعوام: ((...بثلاثة ألاف دينار وألطاف قيمتها ما يناهز العدد المسمى))[١٨٧] .

وكشفت بعض النصوص اهتمام الحكام برصد الأموال الطائلة وإنفاقها في المحافل والمناسبات الرسمية والشعبية على مستوى المجتمع العربي الإسلامي والنصراني على حدٍ سواء . وذلك لغرض الظهور بمظاهر الترف والأبهة ومحاولة الارتفاع والتوسع فيها بطريقةٍ مُباهية ولافتة للأنظار ، تعكس لنا حالة الترف التي تعيش في كنفها تلك المجتمعات[١٨٨].

وهيأ لنا الكتاب الفرصة لمعرفة أسلوب التعامل التجاري الذي كان يتم في الأندلس والمشرق والمغرب . من خلال احتواء بعض النصوص والروايات على نوعية العملة المتداولة((كالدنانير والدراهم))[١٨٩] . و((الأعشار الرومية))[١٩٠] . كما أورد بعض العمليات التجارية التي كانت متداولة في الأندلس بصورة خاصة والمتعلقة بقانون كراء الأراضي الزراعية ، إذ كانوا يعمدون الى ((كراء الأرض بالجزء مما يخرج منها))[١٩١] . وفي الكتاب إشارة الى ((البيضة))[١٩٢] وهي مصطلح نقدي يدخل في التعاملات التجارية ، وقيمتها ((أربعون مثقالاً))[١٩٣] .

وأوضح لنا وضعية الأسواق بشكل عام ، وطبيعة سير التعاملات التجارية فيها . فقد بيّن أن كافة الأسواق كانت تخضع بشكل مباشر لإشراف ونظر شخص معين تختاره الدولة ويسمى (صاحب السوق) الذي كان يعرف في البداية بـ ((صاحب الحسبة))[١٩٤] . وذلك لما كان يجري فيها من غش وخديعة واحتيال ، وخاصة في المكيال والميزان وشبه ذلك . وكان من صلاحياته إصدار الأحكام بحق منْ تسول له نفسه مخالفة الأوامر وتجاوز الحدود[١٩٥].

وكذلك أشار الى أسلوب التعامل التجاري الذي يقوم على أساسين : الأول ما يباع على النقد كالصرف . والثاني ما يباع في الأسواق كاللحم والفواكه والخضر والحنطة والزيت والرقيق والبّز والدواب ونحوها من السلع فان التعامل فيه كان على أساس البيع بالآجال (الدَّين) . وذلك لان ((ما كان من الأشياء عادتها أن تُقبض قبل دفع السلعة أو معها معاً))[١٩٦] .

ولقد تأثرت الحياة الاقتصادية بالأزمات والمخاطر الطبيعية التي أصابتها في حقب متعاقبة . والنباهي في كتابه أشار الى المساوئ التي عانى منها المجتمع الأندلسي من جراء وباء الطاعون الذي اجتاح العالم في عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م . وأورد معلومات قيمة عن الآثار السلبية التي خلفها هذا الوباء سواء كان ذلك في الأرواح أم الأموال . فقد ذكر وعلى مرأى منه الإجراءات التي كانت تقوم بها جماعات من السكان في مالقة لمعالجة الأوضاع السيئة التي عانى منها سكانها ، حيث قاموا وعلى تباين طبقاتهم بجمع التبرعات وإعطائها لقاضي البلدة ليفرقها بمعرفته فاستقر لديه((...من الذهب والفضة والحلي والذخيرة وغير ذلك ما تضيق عنه بيوت أموال الملوك))[١٩٧] . وهذا النص فيه من الأهمية ما فيه ، إذ يُبين لنا سعة الحال الذي كان ينعم فيه سكان الأندلس أيام سلطنة غرناطة قبل ترادف ويلات الطاعون عليها .

وحمل الكتاب ذكراً للرواتب والأجور وان كان معظمها يتحدث عن رواتب القضاة إلا انه مما يمكن لنا أن نستخلصه من النصوص التي تحدثت عن ذلك إن رواتب وأجور القضاة كانت تصرف

لهم من بيت المال ((...ولم يأخذ على القضاء رزقاً من بيت المال مدة حياته))[١٩٨] . كما شرط القاضي محمد بن بشير الأمير الحكم بن هشام أن يكون رزقه((كفافاً من المال الفيء))[١٩٩] .

ويبدو أن هذا النظام تغير في زمن بني الأحمر(٦٣٥_٨٩٧ هـ/ ١٢٣٨_١٤٩٢م)إذ أصبحت رواتب القضاة وأجورهم تصرف من قِبل أرباب الخصومات((...وطلب أن يكون رزق وزعته من بيت المال لا من قِبل أرباب الخصومات))[٢٠٠] . كما طلب القاضي احمد بن الغماز أن تكون خراجته وأعوانه((من الأعشار الرومية))[٢٠١] .

ومن الانجازات الاقتصادية التي تسجل للدولة في سلطنة غرناطة هي استرجاع الاحباس التي ضاع معظمها أيام دولة الموحدين (٥٤١_٦٦٨هـ/ ١١٤٦_١٢٦٩م) . فقد تم إرجاعها ووضعها في أماكنها من خلال تعيين أشخاصاً أكِفاء قاموا فيها أحسن قيام فضبطوها ووضعوها في أماكنها وأجرَوها على منهاج السداد[٢٠٢].

ومن المظاهر الاقتصادية في سلطنة غرناطة والتي يمكن لنا التعرف عليها من خلال ما أورده النباهي في كتابه بهذا الخصوص هو قانون (المصادرات) الذي كان يتعرض له بعض موظفي الدولة وخاصة منْ يُشك في إخلاصه للسلطان.كالذي حدث مثلاً للقاضي محمد بن الحسن النباهي عندما اتهمه أعدائه بمحاولة الانقلاب على ابن هود((فاعتُقل بغرناطة...واستخلصت أملاكه وسيرت للجانب السلطاني وعاثت أيدي الولاة في سائر ماله))[٢٠٣] .

وفي الكتاب ذِكر لبعض المصطلحات ومؤسسات الدولة الاقتصادية وردت ضمن السياق العام للجملة والحدث الذي يرويه المؤلف . منها((الخراج))[٢٠٤]، ((المال الفيء))[٢٠٥] ، ((بيت المال))[٢٠٦] ، ((الاحباس)) و ((الجباية))[٢٠٨] .

الهوامش و التعليقات

(*) البحث مستل من رسالة ماجستير بعنوان (كتاب المرقبة العليا فيمنْ يستحق القضاء والفتيا لأبي الحسن النباهي دراسة في مضامينه العلمية) للطالبة : قبس فاروق صالح مطلوب . بأشراف : أ.م.د.خالد محمود عبد الله . والتي نوقشت في جامعة تكريت / كلية التربية / قسم التاريخ ، سنة (٢٠٠٧ م / ١٤٢٨هـ) .

(١) النباهي ، المرقبة ، ينظر مثلاً : ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ٨٨_٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ٨٠ .

(٦) المقري ، نفح الطيب ، ١ / ٣٦٤ .

(٧) النباهي ، المرقبة ، ٦٨_٦٩ .

(٨) المصدر نفسه ، ٦٥ .

(٩) المصدر نفسه ، ٣٨_٣٩ .

(١٠) المصدر نفسه ، ٥٧ .

(١١) المصدر نفسه ، ٧٢ .

(١٢) المصدر نفسه ، ٣٣ .

(١٣) المصدر نفسه ، ٧٨ .

(١٤) المصدر نفسه ، ١٧٣ .

(١٥) المصدر نفسه ، ٩٢ .

(١٦) المصدر نفسه ، ١٥٦ .

(١٧) المصدر نفسه ، ٦٩_٧١ .

(١٨) المصدر نفسه ، ٧٢ .

(١٩) المصدر نفسه ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٦٣ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ١٥٥_١٥٦ .

(٢١) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ)،المقدمة،دار العودة(بيروت،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)،١٣٧_١٣٨ .

(٢٢) النباهي ، المرقبة ، ٣٨_٤٠ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ٦٦ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ٢٥_٢٧ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ٢٧ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ٢٧ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ٨٦ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ٨٩ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ٨٩ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ٩٤ ، ١٠٦ .

(٣١) المصدر نفسه ، ٩٧ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ١٢٥ .

(٣٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ١٨٩.وكان أول منْ فعل ذلك عبد الرحمن بن الحكم(٢٠٦_٢٣٨هـ/ ٨٢١_٨٥٢م) .

(٣٤) المصدر نفسه ، ١٨٩ .

(٣٥) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ٣٧١ .

(٣٦) النباهي ، المرقبة ، ٨٨ .

(٣٧) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ٣٧١ .

(٣٨) ابن خلدون ، المقدمة ، ١٨٩ .

(٣٩) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ٣٧٢ .

(٤٠) النباهي ، المرقبة ، ١١٣ ، ١٤٠ .

(٤١) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ .

(٤٢) المصدر نفسه ، ٣٧ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ٨٥ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ٨٧ .

(٤٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٠ .

(٤٦) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ٣٦٧ .

(٤٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ١٩٠ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ١٩٠ .

(٤٩) النباهي ، المرقبة ، ٧٢ .

(٥٠) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ٣٦٨ .

(٥١) النباهي ، المرقبة ، ٨١ .

(٥٢) المصدر نفسه ، ٨٦ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ٨٦ .

(٥٤) المصدر نفسه ، ٩٠ .

(٥٥) المصدر نفسه ، ٨٦_٨٧ .

(٥٦) المصدر نفسه ، ٩٠_٩١ .

(٥٧) إبراهيم : عباس سمين ، أبو حنيفة الدينوري منهجه وموارده في كتابه الأخبار الطوال ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدمة إلى مجلس كلية التربية / جامعة تكريت (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ١٨٩ .

(٥٨) النباهي ، المرقبة ، ينظر على سبيل المثال : ٦٠ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٦٥ ، ١٧٦ .

(٥٩) المصدر نفسه ، ٣٧ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ٩٩ .

(٦١) المصدر نفسه ، ٩٧ .

(٦٢) المصدر نفسه ، ٩٧ .

(٦٣) المصدر نفسه ، ٥ ، ٦ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ٥ ، ٨٧ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ٥ ، ٥٦ ، ٧٩ .

(٦٦) المصدر نفسه ، ٥ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ٥ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ٢٩ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٣١ ، ٣٤ ، ٥١ ، ١١٣ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ١٥٣ .

(٧١) المصدر نفسه ، ١٧١ .

(٧٢) الدوري : د. عبد العزيز ، النظم الإدارية الإسلامية ، دار الكتب (الموصل ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ١٥٢ .

(٧٣) النباهي ، المرقبة ، ٤٧ .

(٧٤) المصدر نفسه ، ٤٨ .

(٧٥) المصدر نفسه ، ٥٣ .

(٧٦) المصدر نفسه ، ٦٣ .

(٧٧) المصدر نفسه ، ٨٨ ، ٩٧ .

(٧٨) المصدر نفسه ، ١٤٣ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ١٧٧ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ١٥٧ .

(٨١) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٣ ، ٩ ، ١٠ ، ٧٤ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ١٠٧ .

(٨٢) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٢٣ ، ٦٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٨٣) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ، ١٩٢ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ٨٣ . لم نعثر في المصادر التاريخية على معلومات وافية لتعريفها تاريخياً .

(٨٥) المصدر نفسه ، ١١٩ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ١٤٦ .

(٨٧) المصدر نفسه ، ٥٤ .

(٨٨) المصدر نفسه ، ٨٣ .

(٨٩) المصدر نفسه ، ١٤٦ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ١٦١ .

(٩١) المقصود هنا بالمذاهب الأربعة : (المذهب الشافعي ، المالكي ، الحنبلي ، الحنفي) .

(٩٢) النباهي ، المرقبة ، ينظر مثلاً : ٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦١ ، ١٧٩ ، ١٩٨ .

(٩٣) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٢٩ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ، ١٥٤ .

(٩٤) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٧٨ ، ١١١ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٩٥) المصدر نفسه ، ٤٠ .

(٩٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ١٨٤ .

(٩٧) النباهي ، المرقبة ، ٤٠ .

(٩٨) المصدر نفسه ، ٣٨_٤٠ .

(٩٩) المصدر نفسه ، ٦٦ .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ١٦٢ .

(١٠١) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٢٩ ، ٣٤ ، ٩٢ ، ١٢٤ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ١٧٤ .

(١٠٢) المصدر نفسه ، ٥٨ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، ١٠٤ .

(١٠٤) المصدر نفسه ، ١٧٠ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٦٠ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٤ .

(١٠٦) المصدر نفسه ، ٣٢ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ٤٦ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١١٠ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٣٥_٣٦ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(١١٠) المصدر نفسه ، ٧٠ .

(١١١) المصدر نفسه ، ٧٩ .

(١١٢) المصدر نفسه ، ١٤٨ .

(١١٣) المصدر نفسه ، ١٥٦ .

(١١٤) المصدر نفسه ، ٩٩ .

(١١٥) المصدر نفسه ، ١٢٤ . الزمانة : يقصد بها المرض المزمن .

(١١٦) النباهي ، المرقبة ، ينظر مثلاً : ٣٥ ، ٥٣ ، ٧٩ ، ٨٨ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٣ .

(١١٧) المصدر نفسه ، ٥٣ .

(١١٨) المصدر نفسه ، ٧٩ .

(١١٩) المصدر نفسه ، ١٢٨ .

(١٢٠) المصدر نفسه ، ٥٢ .

(١٢١) المصدر نفسه ، ٦١ ، ٦٤ .

(١٢٢) المصدر نفسه ، ٦١ .

(١٢٣) المصدر نفسه ، ٤٨ .

(١٢٤) المصدر نفسه ، ٣٧ .

(١٢٥) المصدر نفسه ، ٢٧ .

(١٢٦) المصدر نفسه ، ٢٨ .

(١٢٧) المصدر نفسه ، ٢٨ .

(١٢٨) المصدر نفسه ، ٥٥ .

(١٢٩) المصدر نفسه ، ١٤٧ .

(١٣٠) القلنسوة : هي لباس الرأس وتشير إلى الطاقية والكمة التي توضع تحت العمامة . وهي مرادفة لكلمة الطربوش .ينظر:ابن قتيبة الدينوري:عبد الله بن مسلم(ت ٢٧٦هـ)،غريب الحديث،تح:د.عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ١ / ٤٥ ؛ وينظر : دوزي : رينهارت ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، تعر : د. أكرم فاضل ، دار الحرية (بغداد ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ٢٩٥_٢٩٦ .

(١٣١) النباهي ، المرقبة ، ١٣ ، ٢٥ .

(١٣٢) المصدر نفسه ، ٣٢ . والصوف الخيش:ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ ،تتخذ من مشافة الكتان وأردئه،أو من أغلظ العصب .ينظر:الفراهيدي:الخليل بن احمد(ت ١٧٥هـ)،العين،تح:د.محمد المخزومي و إبراهيم السامرائي،مؤسسة دار الهجرة ، ط٢(ايران ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ٤ / ٢٨٤ ؛ ابن منظور: محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ)،لسان العرب ، مؤسسة أدب الحوزة (ايران ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ٦ / ٣٠١ .

(١٣٣) الرداء (العباءة):هو الثوب أو البرد الذي يضعه الإنسان على عاتقيه وبين كتفيه فوق ثيابه . وهو من لباس البدن الخارجي ويمتد حتى القدمين ويكون مفتوحاً من الأمام ، وغالباً ما يكون بكُمين قصيرين أو بدون كُمين . ينظر:ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث ، ٢ / ٢١٧ ؛ وينظر:ألعبيدي:د.صلاح حسن ، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي ، دار الرشيد (بغداد ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ٢٧٧_٢٧٨ .

(١٣٤) النباهي ، المرقبة ، ينظر مثلاً : ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٢ .

(١٣٥) النباهي ، المرقبة ، ٥٢ . و المئزر : أو الإزار هو جبى مشقوقة المقدم يستر به القسم السفلي من البدن ، وهو مثل الجلسة والركبة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤ / ١٦ ؛ وينظر : حميد : د عبد العزيز ، الملابس عند العرب حتى نهاية العصر العباسي ، (بغداد ، بلات) ، ١٤ .

(١٣٦) النباهي ، المرقبة ، ٧٩ . وأقرف وشي اغبر: أوعية من الجلود يكون لونها بلون الغبار توضع على الرأس كناية على المصيبة . ينظر: الحربي: إبراهيم بن اسحق(ت ٢٨٥هـ)،غريب الحديث ، تح: د. سليمان إبراهيم ،دار المدينة(جدة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ٢ / ٣٦٧ ؛ الرازي: محمد بن عبد القادر(ت ٧٢١هـ)،مختار الصحاح ،تح: احمد شمس الدين،دار الكتب العلمية(بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ٢٤٤ .

(١٣٧) النباهي ، المرقبة ، ينظر مثلاً : ٣٨ ، ٦٦ ، ٨٨ .

(١٣٨) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٦٩ ، ٧١ .

(١٣٩) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٧٢ .

(١٤٠) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٦٦ ، ١٦٢ .

(١٤١) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٢٩ ، ١٤٣ .

(١٤٢) النباهي ، المرقبة ، ١٣٦ .

(١٤٣) المصدر نفسه ، ١٣٦ .

(١٤٤) المصدر نفسه ، ١٦١ .

(١٤٥) المصدر نفسه ، ١٦٤ .

(١٤٦) المصدر نفسه ، ١٦٧ .

(١٤٧) المصدر نفسه ، ١٦٨ .

(١٤٨) المصدر نفسه ، ٧٩ .

(١٤٩) المصدر نفسه ، ١٠٥ .

(١٥٠) المصدر نفسه ، ١٢٥ .

(١٥١) المصدر نفسه ، ١٣٦ .

(١٥٢) المصدر نفسه ، ٨٢ .

(١٥٣) المصدر نفسه ، ٨٢ .

(١٥٤) المصدر نفسه ، ٩٦ .

(١٥٥) المصدر نفسه ، ١٣٦ .

(١٥٦) المصدر نفسه ، ١٣٧ .

(١٥٧) المصدر نفسه ، ١٤٠ .

(١٥٨) المصدر نفسه ، ١٥٣ .

(١٥٩) المصدر نفسه ، ١٥٦ .

(١٦٠) المصدر نفسه ، ١٦٤ .

(١٦١) المصدر نفسه ، ١٦٧ .

(١٦٢) المصدر نفسه ، ٧٢ .

(١٦٣) المصدر نفسه ، ٨٢ .

(١٦٤) المصدر نفسه ، ٨٢ .

(١٦٥) المصدر نفسه ، ٨٢ .

(١٦٦) المصدر نفسه ، ٨٢ .

(١٦٧) الميل : القطعة من الأرض وهي المسافة ما بين العلمين ، وقيل هو مد البصر . ينظر : الحربي ، غريب الحديث ، ١ / ٣٤٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١١ / ٦٣٩ .

(١٦٨) النباهي ، المرقبة ، ٥٧ .

(١٦٩) المصدر نفسه ، ٨٣ .

(١٧٠) المرحلة : وتسمى أيضاً المنقلة . وهي من مراحل السفر . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ٥ / ١٨٣٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ١١ / ٦٧٤ .

(١٧١) النباهي ، المرقبة ، ١٠٦ .

(١٧٢) الفرسخ : مسافة محددة من الأرض وهي اثنا عشر ألف ذراع . ويقال الفرسخ التام خمسٌ وعشرون غلوة أو ثلاثة أميال هاشمية . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ١٥ / ١٣٣ ؛ وينظر : المنجد : د. صلاح الدين ، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة ، انتشارات بنياد فرامنك (ايران ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ، ١٣٨ .

(١٧٣) النباهي ، المرقبة ، ١١٩ .

(١٧٤) المصدر نفسه ، ٦٩ .

(١٧٥) المصدر نفسه ، ٧١ .

(١٧٦) المصدر نفسه ، ٧٩ .

(١٧٧) المصدر نفسه ، ١٠٣ .

(١٧٨) المصدر نفسه ، ١٠٤ .

(١٧٩) المصدر نفسه ، ١٣٦ .

(١٨٠) المصدر نفسه ، ٨٢ .

(١٨١) المصدر نفسه ، ١٣٦ .

(١٨٢) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٥٣ ، ٥٤ ، ٩٩ ، ١٤٦ ، ١٦١ .

(١٨٣) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٤٣ ، ٧٩ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٠ .

(١٨٤) الحكيم:د.حسن عيسى علي،كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته،أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي مقدمة الى مجلس كلية الآداب/جامعة بغداد(١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، ١٥٨ .

(١٨٥) النباهي ، المرقبة ، ينظر مثلاً : ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١٦٦ .

(١٨٦) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ٩٢ ، ١١٤ .

(١٨٧) المصدر نفسه ، ٨٠ .

(١٨٨) المصدر نفسه ، ينظر : ٤٠ ، ٦٦ ، ١٦٢ .

(١٨٩) المصدر نفسه ، ينظر مثلاً : ١٥ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٥٢ ، ٨٠ ، ٩١ .

(١٩٠) المصدر نفسه ، ١٢٣ .

(١٩١) المصدر نفسه ، ٥١ ، ١٤٦ .

(١٩٢) المصدر نفسه ، ٦ .

(١٩٣) أبو حنيفة الدينوري : احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) ، الأخبار الطوال ، تح : د. فاروق عمر الطباع ، دار الأرقم (بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ٣١ .

(١٩٤) النباهي ، المرقبة ، ٥ .

(١٩٥) المصدر نفسه ، ٥ .

(١٩٦) المصدر نفسه ، ١٥٠ .

(١٩٧) المصدر نفسه ، ١٥٦ .

(١٩٨) المصدر نفسه ، ٩٢ ؛ وينظر:السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ٤٤٠ .

(١٩٩) النباهي ، المرقبة ، ٤٨ .

(٢٠٠) المصدر نفسه ، ١٣٠ .

(٢٠١) المصدر نفسه ، ١٢٣ .

(٢٠٢) المصدر نفسه ، ١١٣ .

(٢٠٣) المصدر نفسه ، ١١٤ .

(٢٠٤) المصدر نفسه ، ٦ .

(٢٠٥) المصدر نفسه ، ٤٨ .

(٢٠٦) المصدر نفسه ، ٦٤ ، ٩٢ .

(٢٠٧) المصدر نفسه ، ١١٣ ، ١٤٣ .

المصادر والمراجع

أ . المصادر :

- ابن الأثير : أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)

١. النهاية في غريب الحديث والأثر ، خرج أحاديثه وعلق عليه : صلاح بن محمد بن عويضة ، تح : طاهر احمد الزاوي و محمود محمد الطناحي ، دار الكتب العلمية(بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م) .

- الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م)

٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط ٤ (بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .

- الحربي : إبراهيم بن اسحق (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م)

٣. غريب الحديث ، تح : د. سليمان إبراهيم ، دار المدينة (جدة ،١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)

- الخشني : محمد بن الحارث (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١ م)

٤. قضاة قرطبة ، تح : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري(القاهرة ،١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)

٥. المقدمة ، دار العودة (بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

- ابو حنيفة الدينوري : احمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)

٦. الأخبار الطوال ، تح:د. فاروق عمر الطباع ، دار الأرقم (بيروت ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) .

- ابن قتيبة الدينوري : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

٧. غريب الحديث،تح:د.عبد الله الجبوري،دار الكتب العلمية(بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

- الرازي : محمد بن عبد القادر (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م)

٨. مختار الصحاح،تح:احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية(بيروت،١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .

- الفراهيدي : الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١ م)

٩. العين ، تح : د. محمد المخزومي و إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، ط٢ (ايران ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .

- المقري : احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)

١٠. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تح :د.احسان عباس ، دار صادر ، ط٢ (بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م) .

- ابن منظور : محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

١١. لسان العرب ، مؤسسة أدب الحوزة (ايران ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

- النباهي : علي بن عبد الله بن الحسن (ت بعد عام ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م)

١٢. المرقبة العليا فيمنْ يستحق القضاء والفتيا ، تح : ليفي بروفنسال ، المكتب التجاري للطباعة والنشر (بيروت ، بلات) .

ب. المراجع :

- ابراهيم : عباس سمين

١٣. أبو حنيفة الدينوري منهجه وموارده في كتابه الأخبار الطوال ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدمة الى مجلس كلية التربية / جامعة تكريت (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م) .

- الحكيم : د. حسن عيسى علي

١٤. كتاب المنتظم لابن الجوزي دراسة في منهجه وموارده وأهميته ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي مقدمة الى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد مطبوعة على الآلة الكاتبة (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .

- حميد : د. عبد العزيز

١٥. الملابس عند العرب حتى نهاية العصر العباسي ، (بغداد ، بلات) .

- الدوري : د. عبد العزيز

١٦. النظم الإدارية الإسلامية ، دار الكتب (الموصل ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

- دوزي : رينهارت

١٧. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، تعر :د.أكرم فاضل ، دار الحرية(بغداد،١٣٩١هـ/١٩٧١).

- السامرائي وآخرون : د. خليل إبراهيم

١٨. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ،منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (الموصل،بلات).

- العبيدي : د. صلاح حسن

١٩. الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي ، دار الرشيد (بغداد ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

- المنجد : د. صلاح الدين

٢٠. المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة ، انتشارات بنياد فرامنك ايران ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م) .